

Nathan Weinstock, Le sionisme contre Israel
(Paris, Francois Maspero, 1969).

يعتبر ناثان فاينشتوك من أبرز ممثلي اليسار الاسرائيلي وقد صدر له عن دار ماسيرو الفرنسية كتاب بعنوان « الصهيونية ضد اسرائيل » . نشر فيها يلي ترجمة عن الفرنسية لدراسة أعدتها وأرسلتها لنا لجنة فلسطين — بروكسل متهمة فيها المؤلف بتخليص الدعاية الصهيونية من مازق صعب أوصلتها اليه المقاومة الفلسطينية . ان كتاب فاينشتوك ، كما يقول أصحاب هذه الدراسة ، « هو أداة شديدة التستر وشديدة الفعالية بيد الصهيونية » ذلك أنه في جوهره يتبنى نفس المقولات الصهيونية ويصوغها بشكل جديد تبدو عليها « نبرة الصدق ومظهر التماسك ولهجة الماركسية اللينينية » بينما هي في حقيقتها « صهيونية » و« نروتسكية » و« مناهضة للثورة الفلسطينية » ومؤيدة « لوجود اسرائيل كدولة » وتعترف « بالقومية الاسرائيلية » . وتجدر الإشارة هنا الى أن أصحاب هذه الدراسة (لجنة فلسطين — بروكسل) يتبنون مواقف الثورة الفلسطينية برمتها (تحرير كل فلسطين — دولة فلسطينية ديمقراطية واحدة — نضال مسلح طويل الامد — معاداة الامبريالية . . .) وهذا ما يفسر نوعا ما موقفهم العنيف والعدائي من الكتاب المذكور وذهابهم الى حد اتهامهم مؤلفه بالعمالة للصهيونية والامبريالية ! ان من يقرأ هذه الدراسة النقدية لا يسعه الا تاييد ما جاء فيها خاصة وانها مدعومة بمقاطع كثيرة من الكتاب . الا انها مع ذلك تظل « دراسة » ناقصة تستمد خطوطها من « المغالطات » ، الكثيرة ولا شك ، التي وقع فيها المؤلف عن قصد وعن غير قصد فلا تتجاوز ذلك الى نظرة تقييمية نقدية شاملة للكتاب بكل ما فيه من حسنات ونقائص . انها « دراسة » تخضع للاعتبارات الايديولوجية قبل كل شيء ومن هنا محدوديتها وطابعها الخصامي الواضح .

الاخير يحاول ان يجعلنا نعتقد بادىء ذي بدء أنه « حتى عام ١٩١٤ كانت فلسطين ركنا مغمورا في الامبراطورية العثمانية وبلدا متخلفا وقليل السكان يركز اقتصادها على زراعة بدائية جدا . اما التجارة فقد كانت ذات طابع محلي صرف في حين ان الصناعة كانت عمليا معدومة . وفي الواقع فان المبادلات التجارية في هذا الاقتصاد « الطبيعي » بقيت بدون أية قيمة الى درجة انه لم تكن هنا اي طريق جدية بهذا الاسم . وكان البدو الفيزاة يترصدون المسافرين ولم تظهر أولى العربات الحقيقية التي تجرها الاحصن الا في سنة ١٨٧٥ . وكانت القرى تعيش منغلقة على نفسها ، منعزلة ، بعيدة عن بعضها بعضا . وكانت يافا وعكا ، الرمثاين البحرسيين ، تبدوان كمدينتين ميتين » (ص ٦٣) . ويمكن ضم هذه التأكيدات الجازمة الى كثير غيرها كهذه مثلا: « بعد تفكك الامبراطورية العربية ، وجد البلد نفسه غير مأهول الى حد

منذ أكثر من سنتين بقليل صدر كتاب عن دار ماسيرو من ستينائة صفحة بعنوان « الصهيونية ضد اسرائيل » . وهذا العنوان يعكس المقولة التي يتبناها المؤلف والتي تتلخص في أن على « دولة اسرائيل » ألا تزول لكي تحل محلها دولة فلسطينية موحدة بل أن تستمر شرط أن تخلع عنها الطابع الصهيوني . هذه المقولة ، التي تتناقض بوضوح مع أفكار المقاومة الفلسطينية ، سبق وأن دافع عنها بحرارة ، وبشيء من التماسق ، الاسرائيلي أوري أفنيري في كتابه « اسرائيل بدون صهيونية » ، كما دافعت عنها أيضا ماتزين ، المنظلة الاسرائيلية المعادية للصهيونية . وكذلك أيضا لجان « اسرائيل — فلسطين » الوهمية في أوروبا الغربية . سيكون موضوع هذا البحث ، الذي لا يدعي انه يشكل نقدا كاملا تفصيليا ، الاشارة الى الجوانب الأكثر مغالطة في دراسة فاينشتوك . ان هذا